الكلية	الآداب
القسم	قسم اللغة العربية
المادة باللغة الانجليزية	Linguistics
المادة باللغة العربية	اللسانيات
المرحلة الدراسية	الماجستير - اللغة
اسم التدريسي	أ.د. علي حسين خضير الشمري
عنوان المحاضرة باللغة الانجليزية	Language: Concept, Structure, and Features
عنوان المحاضرة باللغة العربية	اللغة: المفهوم، البنية، والخصائص
رقم المحاضرة	الثالثة
المصادر والمراجع	1-حسن، خالد إسماعيل. في اللسانيات العربية المعاصرة. القاهرة: دار النشر الأكاديمي، 2021. 2-قدور، أحمد محمد. بين اللسانيات وعلم اللغة. دمشق: دار الفكر، 2019. كتاب إلكتروني. 3-نصوص كاملة. "الاتجاهات المعاصرة في اللسانيات وآفاق البحث في اللغة العربية." مجلة المجتمع الجزائري للغة العربية، العدد 7 (2024): 55–78.

اللغة: المفهوم، البنية، والخصائص

نظرًا إلى أن اللغة تمثّل الموضوع المحوري في اللسانيات، فإن تصورها النظري ينعكس مباشرة على تشكيل الاتجاهات والمدارس اللسانية المختلفة. ومن هنا تبرز ضرورة الوقوف على ماهية اللغة، وبنيتها، وخصائصها، ووظائفها، قبل الخوض في تحليلها أو تأطيرها ضمن منظومات بحثية.

تعريف اللغة

تُعد اللغة الطبيعية نظامًا علاميًا متميزًا عن سائر الأنظمة العلامية الأخرى، كأنظمة الإشارة الجسدية، ولغة الصم والبكم، ولغة المرور، وحتى لغات الحيوان. ورغم وجود بعض الخصائص المشتركة بين هذه الأنظمة، فإن اللغة الطبيعية تنفرد بخصيصة جوهرية هي **القصد الإبلاغي**؛ إذ إن العلامات الطبيعية، كدلالة الغدران على المطر أو الرماد على نار سابقة، لا تنطوي على قصد تواصلي، بخلاف الأنظمة العلامية التي تُستخدم لنقل المعلومات، وتستلزم وجود مرسل، ومتلقٍ، ونظام رمزي قابل للتفكيك والتركيب، ويُستعمل ضمن سياق محدد.

وقد ميّز دي *سوسير* بين مستويين في مفهوم اللغة:

- **اللغة الملكة (Langage)**: قدرة فطرية يولد بها الإنسان، وهي من أبرز السمات التي تميّزه عن الحيوان.

- **اللغة المعينة (Langue)**: نظام مكتسب، كالعربية أو الإنجليزية، يتسم بالتجانس، ويقوم على اتحاد المعنى بالمبنى.

والجديد الذي أضافه سوسير في تعريفه للغة المعينة هو عنصر **النظام**، الذي يجعل من اللغة بنية قابلة للتحليل وفق قواعد محددة. وقد صيغ أحد التعريفات الحديثة للغة على النحو الآتي:

"اللغة نظام من العلامات المتواضع عليها اعتباطًا، تتسم بقبولها للتجزئة، ويتخذها الفرد وسيلة للتعبير عن أغراضه، وتحقيق الاتصال بالآخرين، بواسطة الكلام والكتابة".

هذا التعريف، الذي استند إلى دراسة مقارنة لتعريفات القدماء والمحدثين، يُعدّ جامعًا لأهم خصائص اللغة ووظائفها، ويعبّر بدقة عن طبيعتها الرمزية والتواصلية.

خصائص اللغة

1. كونها نظامًا علاميًا

يرى دي سوسير أن العلامة اللغوية هي نتاج ارتباط **الدال** (الصوت أو الشكل) بـ **المدلول** (المعنى)، بحيث لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر. وقد تطوّر مفهوم العلامة ليشمل نوعين رئيسيين:

- **العلامة المعجمية**: تدل على معنى خارجي، ككلمة "أسد"، وهي غير محدودة العدد، نظرًا لتجدد المفردات باستمرار.
- **العلامة القواعدية**: تدل على معنى صرفي أو نحوي، كأداة التعريف أو صيغة الفاعل، وهي محدودة العدد ويمكن حصرها بالاستقراء.

ويُعد **المورفيم** (المصرّف)، سواء كان معجميًا أو قواعديًا، أصغر وحدة دلالية في اللغة، إذ يحمل معنى ولا يُجزّأ إلى عناصر أصغر ذات دلالة.

2. العلامة التركيبية

لا تقتصر العلامة على المفردات، بل تشمل التراكيب أيضًا، مثل:

- **المركب الإضافي**: كتاب سعيد
- **المركب الوصفي**: سيارة حمراء
- **المركب البدلي**: الكتاب نفسه
- **المركب الإسنادي**: الجو لطيف، قام خالد

وتُعد الجملة أكبر وحدة تحليلية في الدراسات القواعدية، بينما يُنظر في الدراسات التخاطبية وتحليل الخطاب إلى **النص** بوصفه الوحدة الأساسية للتحليل، والجمل مجرد مكونات له.

أولًا: الاعتباطية في اللغة

تُعدّ خاصية الاعتباطية من أبرز السمات التي تميز اللغة الطبيعية عن غيرها من الأنظمة العلامية. فإذا تأملنا في أصوات كلمة "ضرب "في العربية، وسألنا عن سبب اختيار هذه الأصوات تحديدًا للتعبير عن مفهوم الضرب، فلن نجد علة منطقية أو علاقة سببية تفسر هذا الاختيار. فالعرب كان بإمكانهم أن يستخدموا لفظًا آخر كـ"ربض "للدلالة على المعنى ذاته، دون أن يترتب على ذلك فساد في التواصل أو خلل في الفهم. وهذا ما أشار إليه عبد القاهر الجرجاني بقوله: "لو أن واضع اللغة قال ربض بدل ضرب، لما كان في ذلك ما يؤدي إلى فساد". ويُستنتج من ذلك أن العلاقة بين **الدال** و**المدلول** في اللغة الطبيعية هي علاقة اعتباطية، أي غير مبررة منطقيًا، ولا تحكمها ضرورة عقلية. وهذا ما يجعل اللغة الطبيعية تختلف عن الرموز التعبيرية ذات الدلالة الثابتة، كإشارة الصليب التي ترمز إلى صلب المسيح في الثقافة المسيحية، إذ إن تلك الرموز تحمل دلالة مقصودة ومباشرة، بينما اللغة تُبنى على اتفاق اجتماعي اعتباطي.

ثانيًا: اللغة بوصفها نظامًا

قبل ظهور *دي سوسير*، كان التصور السائد للغة يختزلها في كونها مجموعة من الأصوات المادية، تُسمع وتُنطق، وتُدرس من حيث خصائصها الفيزيائية. وهذا التصور يُشبه تعريف البيت بأنه مجرد كومة من مواد البناء، دون اعتبار للهيئة والترتيب، وهو ما اعترض عليه *ابن سينا* قديمًا، وأعاد *دي سوسير* تأكيده في سياق اللغة، حيث قال إن الخطأ في فهم اللغة نابع من افتراض أنها "جواهر"، أي عناصر مستقلة، بينما هي في حقيقتها نظام من العلاقات. فاللغة ليست مجرد أصوات، بل هي **طرائق تركيبية** تُرتّب بها هذه الأصوات لتكوين كلمات وجمل تعبّر عن أغراض المتكلم. وقد استثمر واضعو اللغة عددًا محدودًا من الأصوات لتوليد عدد غير محدود من الكلمات، عبر تقليبها وتأليفها بطرائق مختلفة. أما المتكلم، فيُركّب الكلمات والمصرّفات وفقًا لمقتضيات السياق، ويعتمد في ذلك على نوعين من العلاقات البنيوية:

1- العلاقات الاستبدالية(*Paradigmatic Relations*)

تقوم هذه العلاقات على مبدأ **الاختيار** من بين بدائل ممكنة. فعندما يقول المتكلم : "استقبلتُ في بيتي خمسة أصدقاء"، فإنه قد اختار كلمة "استقبل "من بين بدائل مثل "أكرم"، "زار"، "ضرب"، إلخ. واختار "أصدقاء "بدلًا من "زملاء"، "جيران"، "أقارب"، وهكذا. كل كلمة مختارة تدخل في علاقة **تغاير** مع الكلمات المستبعدة، لأن استبدالها

يؤدي إلى تغيير المعنى. وهناك أيضًا علاقة **تشابه**، وهي التي تحكم شكل الكلمة داخل السياق، فالمتكلم لا يستطيع أن يقول "حضرا "أو "حضرت "بدلًا من "حضر"، لأن السياق النحوي يفرض صيغة محددة. وكذلك لا يمكنه أن يقول "سبعةً "أو "سبعةِ " بدلًا من "سبعةُ"، لأن التراكيب النحوية تفرض شكلًا معينًا يتناسب مع موقع الكلمة في الجملة.

2- العلاقات الائتلافية(*Syntagmatic Relations*)

تُعنى هذه العلاقات بكيفية **تركيب** الكلمات داخل السياق، وتُسمى أيضًا بالعلاقات الترابطية. فعندما يقول المتكلم "ضُرب عنقه"، فإن هذا التركيب مألوف في العربية، بينما "ضُرب جيده "غير مألوف، رغم الترادف الإدراكي بين "عنق "و"جيد." وهذا يدل على أن الكلمات لا تُركّب عشوائيًا، بل وفقًا لعلاقات ائتلافية تحكمها الأعراف اللغوية . وينطبق هذا أيضًا على التراكيب النحوية، فمثلًا في جملة "حضرَ سبعةُ طلابٍ"، لا يمكن استبدال "سبعةُ "بأي صيغة أخرى كـ"سبعةً "أو "سبعةِ"، لأن السياق لا يسمح بذلك، ويُفرض شكل محدد يتناسب مع التركيب النحوي للجملة.

العلاقات اللغوية: الاستبدال والائتلاف

قد يتساءل الباحث: كيف يمكن لمثال واحد أن يُستخدم لتوضيح نوعين مختلفين من العلاقات اللغوية، هما :**العلاقات الاستبدالية** و**العلاقات الائتلافية**؟ والإجابة تكمن في زاوية النظر المعتمدة في التحليل؛ فإذا نظرنا إلى الكلمة "سبعةُ "في جملة "حضرَ سبعةُ طلابٍ"، من حيث إمكان استبدالها بصيغ أخرى لا تصلح في السياق مثل "سبعٌ"، "سبعةِ"، أو بصيغ أخرى تصلح مثل "ستةُ"، "ثمانيةُ"، فإننا نكون بصدد علاقات استبدالية. أما إذا نظرنا إلى علاقة "سبعةُ "بما يسبقها أو يلحقها من كلمات داخل الجملة، فإننا نكون أمام علاقات ائتلافية.

- **العلاقات الاستبدالية** :عمودية، تقوم على التغاير بين الكلمات الممكنة في الموقع ذاته.
- **العلاقات الائتلافية** :أفقية، تقوم على التآلف بين الكلمات المتجاورة داخل السياق.

ويمكن تمثيل ذلك صوتيًا؛ فالصوت "ن "في كلمة "مندوحة "يدخل في علاقة استبدالية مع "م"، إذ يؤدي تغييره إلى تغيير المعنى إلى "ممدوحة." أما محاولة إدخال "ن "من كلمة "منحوسة "في سياق "مندوحة "فلا تجوز، لأن السياق الصوتي لا يسمح بذلك؛ فالنون في "مندوحة "مخفاة، بينما في "منحوسة "ظاهرة، مما يبرز أثر السياق في العلاقات الائتلافية.

قابلية اللغة للتجزئة

تُعد خاصية **التجزئة المزدوجة** من أبرز خصائص اللغة الطبيعية، وتعني أن العلامات اللغوية قابلة للتفكيك وإعادة التركيب، كما يفعل الطفل بألعاب الفك والتركيب.
ويُميز اللسانيون بين نوعين من التجزئة:

- **التجزئة الأولى (First Segmentation)**: تفكيك الجمل إلى مورفيمات (مصرفات)، مثل" :الولد يبكي "إلى "ال) "قواعدي(، "ولد) "معجمي(، "بكي ")معجمي مقيد(، "يفعل) "قواعدي مقيد.(
- **التجزئة الثانية (Second Segmentation)**: تفكيك المورفيمات إلى أصوات، مثل "ولد "إلى "و + فتحة + ل + فتحة + د."

ورغم أن بعض اللسانيين يرون أن الكلمة ليست وحدة مركزية في التجزئة، فإن الدراسات العربية تُظهر خلاف ذلك؛ إذ تُعد الكلمة في العربية **وحدة إعرابية مستقلة**، لا يمكن للمورفيم أن يحل محلها في التحليل النحوي.

وقد عُرّفت الكلمة في العربية بأنها: "الوحدة اللغوية الصغرى القابلة للتصنيف الإعرابي، والمكونة من مصرف قواعدي مستقل، أو من مصرف معجمي مفرد، أو من مصرف معجمي مقترن بمصرف قواعدي أو أكثر".

أمثلة:

- كلمة من مصرف قواعدي مستقل" :إنّ"، "على"، "واو القسم"، "فاء السببية."
- كلمة من مصرف معجمي مفرد" :عيسى"، "هدى"، "كمثرى."
- كلمة من مصرف معجمي وقواعدي" :فاتح" = "ف ت ح + "صيغة فاعل، "شاربة" = "ش ر ب + "صيغة فاعل + تاء التأنيث.

الإنتاجية اللغوية

تُعد خاصية **الإنتاجية (Productivity)** من السمات الفارقة بين اللغة البشرية ولغات الحيوان. فالمتكلم البشري قادر على إنتاج جمل لم يسمعها من قبل، اعتمادًا على قواعد تركيبية محدودة، دون الحاجة إلى حفظ كل الجمل السابقة. وقد أشار *ابن مالك* إلى أن المفردات والمركبات هي التي تُوضع وتُحصى، أما الجمل (القُولات) فهي غير مقيدة بالوضع، مما يتيح للمتكلم حرية التعبير.

وهذا ما يُعرف في اللسانيات بالإنتاجية: "إمكان إحداث أو فهم جمل جديدة لم تُنطق من قبل". وقد جعل *تشومسكي* من هذه الخاصية حجر الأساس في نظريته التوليدية التحويلية، إذ يرى أن اللغة: "مجموعة غير محدودة من الجمل، كل منها محدودة الطول، ومصوغة من عناصر محدودة".

ويتمحور اهتمام التوليديين حول كيفية إنتاج وفهم عدد غير متناهٍ من الجمل، انطلاقًا من عدد محدود من القواعد النحوية.

النقل الثقافي

تختلف اللغة البشرية عن لغات الحيوان في كونها **مكتسبة ثقافيًا**، لا موروثة غريزيًا. فالقطط مثلًا تصدر الأصوات نفسها في كل مكان، بينما يتحدث الإنسان بلغة المجتمع الذي ينشأ فيه، بغض النظر عن عرقه أو جيناته. فالمولود الإنجليزي الذي ينشأ في بيئة فرنسية سيتحدث الفرنسية، لا الإنجليزية. وهذا ما يُعرف بـ **النقل الثقافي (Cultural Transmission)**، ويُقصد به انتقال اللغة المعينة من جيل إلى آخر عبر التعلم، لا عبر الوراثة. أما **اللغة الملكة** فهي قدرة فطرية موروثة، كما أشار إليها دي سوسير، وهي ما يُميز الإنسان عن سائر الكائنات.

جامعة الأنبار
1987 1408
UNIVERSITY OF ANBAR